رسائل

مولاي العربي الدرقاوي

رضي الله عنهم وأرضاهم



الجزء الرابع



بسم الله الرحمن الرحيم

الرسالة الخامسة والأربعون

في حال سيدي علي الجمل رضي الله عنه

45 - ومنها : فإن قلت : «أستاذنا سيدي علي رضي الله عنه كان واسعا وأنت ضيقا» ❋ قلت : كان واسعا وكان ضيقا ❋ وكان رطبا وكان حرشا (خشنا) ❋ وكان قويا وكان ضعيفا ❋ وكان غنيا وكان فقيرا ❋ وكان بحرا لا ساحل له ❋

لأن علمه كان أحلى من السكر ❁ وعلمه كان أمرّ من الحنظل ❁ إذ كان دائما يقول كلام ولي الله تعالى سيدي أبي المواهب التونسي رضي الله عنه : «من ادعى شهود الجمال قبل تأدبه بالجلال ❁ ارفضه فإنه دجال» ❁

الرسالة السادسة والأربعون

في الحث على الإخلاص
وترك المحرمات والمكروهات

46 - ومنها : فالمخلص يلبس ما أحب من اللباس ❁ علويا كان أو سفليا ❁ لأنه قد

صار عنده حال العلو وحال الدنو سواء لا فرق بينهما ❁ وغير المخلص فلا يليق به إلا أن يكون كعامة الناس ❁ واترك المحرمات والمكروهات أيها الفقير ❁ وانكح ما شئت ❁ واركب ما شئت ❁ واكسب ما شئت ❁ واسكن ما شئت ❁ وكن كما شئت ❁ وإن قامت عليك حجة فأنا المؤاخذ بها أيها المخلص :

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى
تجرد عريانا ولو كان كاسيا

فخير لباس المرء طاعة ربه

ولا خير فيمن كان لله عاصيا

فلو كانت الدنيا تدوم لأهلها

لكان رسول الله حيا وباقيا

ولكنها تفنى ويفني نعيمها

وتبقى الذنوب والمعاصي كما هيا

والسلام ❊

الرسالة السابعة والأربعون
في أن الراحة تكمن
في تفويض الأمور لله والتسليم له

47 - ومنها : فاسمع أيها الفقير * إني تحيرت في أمر من أموري أياما كثيرة حتى صرت من أجله في غاية التعب * فتولّد لي من تلك الحالة أن اضطررت إلى ربي اضطرارا كثيرا * إذ وجدت في كتابه ﴿لِلَّهِ الأَمرُ مِن قَبلُ وَمِن بَعدُ﴾ * ﴿وَلِلَّهِ غَيبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ وَإِلَيهِ يُرجَعُ الأَمرُ كُلُّهُ﴾ * فسلمت له أمره * وطرحت نفسي

بين يديه ❁ ولم أحملها إذ هي محمولة كما قال شيخ شيوخنا ولي الله تعالى أبو عبد الله سيدي محمد بن سعيد الفهري الطرابلسي رضي الله عنه : «دع الدار لبانيها ❁ إن شاء أقامها وإن شاء هدمها» ❁ وكما قال ولي الله تعالى سيدي الخضري رضي الله عنه :

سلم لسلمى وسر حيث سارت

واتبع رياح القضا ودر حيث دارت

فاسترحت من نفسي وتهنيت * وطاب وقتي والحمد لله * والسر كله في ترك النفس * والسلام *

الرسالة الثامنة والأربعون

إذا أردت أن تريح

فاثبت في شهود ربك وقت تعرفه إليك

48 - ومنها : فالعبد كلما عرف ربه عرفته المخلوقات بأسرها * وأطاعته الأشياء بأجمعها * والله ورسوله أعلم * قال الشيخ الجليل أستاذنا رضي الله عنه : «مهما

تخلص باطنك من المكونات ملئ بالمكون ❁ ونشأت المحبة بينك وبين سائر المكونات ❁ ومهما صفت معاملتك مع الخالق قطعت عليك جميع الخلائق ❁ والسلام» ❁

وقلنا رضي الله عنا ❁ مهما صدقت في شهود ربك تسلطت تعرفاته وتأتيك على كل صفة ❁ فإن عرفت ولم تجهل قام إذ ذاك الوجود وما فيه يعرفك ويحبك ويعظمك ❁

ويكرمك ويبايعك ❊ ويطيعك ويشتاق إليك ❊ ويتلذذ بذكرك ❊ ويفرح بك ❊ ويفتخر ويصول ويتيه ❊ وأنت تشاهده عيانا ❊

وإن أنت جهلته حين تعرّف لك جهلك إذ ذاك كل شيء ❊ واستصغرك كل شيء ❊ واستحقرك كل شيء ❊ واستقبحك كل شيء ❊ واستثقلك كل شيء ❊ واستبعدك كل شيء ❊ وجهلك كل شيء ❊ وفر منك

كل شيء ❊ وبارزك كل شيء ❊ وغلبك
كل شيء ❊

فإن أردت أيها الفقير أن يكون ربحك فوق
الأرباح كلها ❊ وفوق الأقران كلهم ❊
فاثبت في شهود ربك وقت تعرفه لك ❊
فإنه سبحانه يبدل جهلك علما ❊ وضعفك
قوة ❊ وعجزك قدرة ❊ وفقرك غنى ❊ وذلك
عزا ❊ وفقدك وجدا ❊ ووحشتك أنسا ❊
وبعدك قربا ❊

أو نقول : فإنه سبحانه يغطي وصفك بوصفه * ونعتك بنعته * إذ هو كريم وذو فضل عظيم سبحانه وتعالى * والسلام *

الرسالة التاسعة والأربعون
في التحذير من الانتصار للنفس والحث على تفويض الأمر لله

49 - ومنها : فإن فوضت أمرك لربك أيها الفقير * وسلبت له الإرادة في نفسك حين يؤذيك من الناس من يؤذيك * فاحذر من الانتصار لها * ومن أن يرق قلبك عليها

حتى يشفي غرضه فيك من يؤذيك ❋ فإن السر الذي لم يخطر لك ببال يخطر لك وأنت تنظره بعينك ❋ وتسمعه بأذنك ❋ والله على ما نقول وكيل ❋ والسلام ❋

الرسالة الخمسون

في رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقظة

50 - ومنها : فوالله يا إخواني ما كنت أظن أن أحدا من أهل العلم رضي الله عنهم ينكر رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقظة ❋ حتى اجتمعت ببعضهم ذات

يوم بمسجد القرويين ثم تكلمت معهم في ذلك ❁ فقالوا لي : «كيف تصح رؤيته يقظة وقد مات صلى الله عليه وآله وسلم منذ ألف سنة ومائتين وزيادة ❁ إنـما تصح رؤيته مناما إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم : «من رآني -يعني مناما- فقد رآني حقا ❁ فإن الشيطان لا يـتمثل بي» ❁

فقلت لـهم : «حتما لا يراه يقظة إلا من رحّلته المعاني ❁ أو نقول : الأفكار من عالم

الأشباح هذا إلى عالم الأرواح ❋ وهناك يراه لا محالة ❋ ويرى الأحبة كلهم» ❋ فسكتوا حينئذ ولم يتكلموا حيث قلنا لـهم : «إنـما يرى في عالم الأرواح» ❋

لـكنهم قالوا لي بعد ساعة : «أخبرنا كيف ذلك» ❋ فقلت لـهم : «أخبروني أنتم أين هو عالم الأرواح من عالم الأشباح» ❋ فما عرفوا ما يقولون لي ❋ فقلت لـهم : «فأين هو عالم الأشباح وعالم الأرواح ❋ وأين هو عالم

الكدر وعالم الصفاء ❊ وأين هو عالم الملك وعالم الملكوت ❊ وأين هي العوالم السفلية ثم أين هي العوالم العلوية ❊ وثم أين هي العوالم كلها ❊ وقد قيل: إنها ثمانية عشر ألف عالم ❊ كل عالم كعالمنا هذا ❊ كما في حلية الأولياء رضي الله عنهم ❊ والكل قد انطوى في الإنسان وهو لم يشعر إلا من تولاه الله ❊ فغطى وصفه بوصفه ❊ ونعته بنعته ❊ وقد تولى سبحانه كثيرا من عباده

ولا زال يتولاهم إلى خاتمتهم رضي الله عنهم» ❋

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي ابن البنا رضي الله عنه في مباحثه :

اعقل فأنت نسخة الوجود
لله ما أعلاك من موجود
أليس فيك العرش والكرسي
والعالم العلوي والسفلي
ما الكون إلا رجل كبير
وأنت كون مثله صغير

وقال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي المرسي رضي الله عنه :

يا تائها في مهمه عن سره
انظر تجد فيك الوجود بأسره
أنت الكمال طريقة وحقيقة
يا جامعا سر الإله بأسره

قلت : فلا تبعد رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المتمسك بسنته ❁ المتخلق بخلقه ❁ ولا يخيب ولا يعيب ❁ ولا يبعده

خير ❁ فهذا اعتقادنا ❁ ونحن عليه إلى لقاء ربنا ❁ إنما بعد الخير على من أعرض عن السنة وأقبل على البدعة ❁ فجعل عوض الأوصاف المحمودة الأوصاف المذمومة ❁ واستغرق في الشهوات حتى صار لا يفرق بين الحسنات والسيئات ❁

وأما من ترك ذلك وسلك أحسن المسالك فلا يبعده خير ❁ وكيف يبعده خير وهو على ما أمره به ربه ❁ لا والله لا والله لا

والله ❊ ولا شك أن أهل المعاني رضي الله عنهم هم الذين يطمعون في رؤيته صلى الله عليه وسلم ❊ إذ هم قد خرقوا عوائد أنفسهم ❊ وتركوا سائر علائقهم ❊ فلذلك وردت المعاني عليهم ❊

وأما أهل الحس فلا يطمعون فيها ❊ ولا يرجون حصولها ❊ لأن الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية ❊ وكيف يطمعون فيها والحس ضدها ❊ والضدان لا يجتمعان ❊

فمهما تقوى الحس ضعف المعنى ❁ ومهما تقوى المعنى ضعف الحس ❁ وهو والله - أي الحس- قد استولى على الناس حتى أنهم لا يشتغلون إلا به ❁ ولا يخوضون إلا فيه ❁ ولا يباشرون إلا إياه ❁ والعياذ بالله ❁ ولم يتركه إلا القليل ❁ واللهُ على ما نقول وكيل ❁

ومن كان شأنه هذا فمن أين ترد عليه المعاني ❁ إذ هي لا ترد إلا على من تركه

وأيأس منه نفسه ❁ نعم إن تركه وأيأس
منه نفسه فالمعاني لا محالة ترد عليه كما
وردت على كثير من غيره ❁ ثم ترحّله من
عالم إلى عالم إن لم يقف معها ❁ إلى أن
توصله إلى الحضرتين الكريمتين ❁ الربانية
والنبوية ❁ ولا شك أن الرؤية المذكورة لا
تحصل لأحد إلا بعد تخلصه من سائر
عيوبه ❁ وتصفيه من سائر كدراته ❁ ويا
عجبا كيف تنكر وتستبعد وتستغرب رؤية
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ❁ وقد رآه

يقظة كثير من الأولياء رضي الله عنهم ❁ ورؤيتهم إياه كشمس على علم ❁ وقد صدق والله غاية ولي الله تعالى سيدي البوصيري رضي الله عنه في قوله :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد

وينكر الفم طعم الماء من سقم

قلت : من أراد أن يعرف هل يُرى صلى الله عليه وآله وسلم يقظة أو إنما يُرى مناما ❁ فلينظر كتب القوم رضي الله عنهم

كالإمام الرصاع وكالإمام أبي نعيم الأصبهاني والإمام السيوطي وغيرهم رضي الله عنهم ❊ فإنه يجد بها رؤية الأولياء النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقظة ومناما كشمس على علم ❊ وكذلك رؤيتهم لغيره من الأولياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام ❊

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى جلال الدين السيوطي رضي الله عنه في «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك»: «وقال

الشيخ عبد الغفار بن نوح القوسي في كتابه الوحيد من أصحاب الشيخ أبي يحي بن عبد الله الأسواني المقيم بإخميم : كان يخبر أنه يرى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويجاوبه إذا تحدث معه» ❋

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن : «قال رجل لسيدي أبي العباس المرسي : صافحني بكفك هذه فإنك لقيت رجالا وأبدالا ❋ قال : والله ما صافحت بكفي هذه إلا رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم ❊ قال : فقال الشيخ : لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين» ❊

وقال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في رسالته ❊ والشيخ عبد الغفار في التوحيد : حكي عن الشيخ أبي الحسن الزرقاني قال : أخبرنا الشيخ أبو العباس الطنجي قال : وردت على سيدي أحمد الرفاعي فقال لي : «ما أنا شيخك ❊ شيخك عبد الرحيم في

مدينة قنا في صعيد مصر ❊ رح إليه» ❊
فسافرت إلى قنا فدخلت على الشيخ عبد الرحيم فقال لي : «أعرفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» ❊ فقلت : لا ❊ فقال : «رح إلى بيت المقدس حتى تعرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» ❊ فرحت إلى بيت المقدس ❊ فحين وضعت رجلي بالبيت وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ❊ فرجعت إلى الشيخ فقال لي :

«أعرفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» ❋ قلت : نعم ❋ قال : «الآن كملت طريقتك ❋ لم تكن الأقطاب أقطابا ❋ والأوتاد أوتادا ❋ والأولياء أولياء إلا بـمعرفته ❋ صلى الله عليه وآله وسلم» ❋

وكل هذا في «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك» ❋ وفيه من مثله ما يكفي كل أحد ❋ وفي غيره من كتب القوم رضي الله عنهم من مثله العجائب والغرائب ❋ وقد

أكرمني ربي سبحانه في ابتداء أمري وفي حال شبابي ونحن إذ ذاك بمدينة فاس - دفع الله عنها كل باس- عام اثنين وثمانين ومائة وألف ❁ إذ كنت لا نرى في نفسي ولا في كل أحدٍ أحد ❁ ولا في كل شيء شيء إلا الله تعالى ❁ لكن بنفس ما نرى الله تعالى نرى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ❁ أو بنفس ما نراه صلى الله عليه وآله وسلم نرى الله تعالى ❁ وكنت برؤيتي سكرانا دائما ❁ صاحيا دائما ❁ وكنت أقوى بعض

الأوقات في سكر وصحو * حتى يكاد جلدي
أن يتمزق * وذاتي أن تمحى (تذوب) *
فقواني ربي قوة لم نعرفها ولم نسمع بها *
ولم يحدثني محدث بها * وذلك بأن جعل
لي -سبحانه- قوتي في ضعفي * وسخانتي في
برودتي * وعزتي في ذلتي * وغنائي في
فقري * وقدرتي في عجزي * وتوسعي في
ضيقي * وبسطي في قبضي * ونصرتي في
انكساري * ووجدي في فقدي * وعلوي
في دنوي * ووصلي في قطعي * وقربي في

بعدي * وصلاحي في فسادي * وربحي في
خسارتي * ورفعتي في إهانتي * وهكذا *
فلذلك رسخت قدمي في الطريق حتى عشت
في هذا الوقت الصعيب بلا رفيق * أي بلا
شيخ * إذ لاشك أن الوقت قد قلت
محاسنه * وكثرت قبائحه *

واعلموا يا إخواني علمكم الله خيرا * ووقاكم
شرا * أن أهل الجد من غير هزل مهما
تحركوا * أو نقول تخبطوا في أمر من

الأمور ❊ جاءت بذلك والله الأخبار من سائر الأقطار ❊ وشاعت لدى العبيد والأحرار ❊ والكبار منهم والصغار ❊ والأمر غائب عن كل أحد ❊ ومع ذلك ينطق به كل أحد تصديقا لقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من أسر سريرة ألبسه الله رداءها» ❊

فافهموا ❊ وتنبهوا لما يحدث في الوقت ❊ فإني أرى أن يحدث فيه الخير الكبير ❊

والسر الواضح الشهير ❁ والله على ما نقول وكيل ❁ والسلام ❁

الرسالة الحادية والخمسون

في التأكيد على القيام بالمفروض وما تأكد من المسنون والمواظبة على طهارة الباطن والظاهر

51 - ومنها : فغاية نصحي لك أيها الفقير أن تقوم بالمفروض ❁ وبما تأكد من المسنون ❁ ثم تواظب على استبرائك من بولك كما ينبغي على النظافة ❁ والمسكنة والقناعة ❁ والاستخارة النبوية والتلاوة والزيارة ❁ والصمت والوضوء ❁ وصلاة

الضحى وتحية المسجد ❊ والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ❊ والحذر من الكذب والغيبة والنميمة والمحرمات والمكروهات ❊

والله والله إن واظبت على هذا واعتنيت به ما استطعت ❊ حتى تشرق أنوارك ❊ وتظهر ولم تخف أسرارك ❊ ولم تكن حقيقتك أيضا إلا نورانية ❊ ولم تكن قط ظلمانية ❊ والسلام ❊

الرسالة الثانية والخمسون

في النفس والروح

52 - ومنها : فالروح والنفس شيء واحد
❁ نوراني من عين النور ❁ والله ورسوله أعلم
أيها الفقير ❁ وما ثنى أي عاد اثنين ❁ إلا
لاتصافه بوصفين وهما الصفاء والكدر ❁
والأصل هو الصفاء والفرع هو الكدر ❁

فإن قلت : «كيف ذاك أيها الفقير» ❁ قلت
: ما دامت الروح على صفائها وحسنها ❁

وبهائها وجمالها ❊ وشرفها وعلوها وارتفاعها ❊ وهي لا يصدق عليها إلا اسم الروح ❊

وإذا تركت ما هي عليه من الصفاء والحسن والبهاء ❊ والشرف والعلو والارتفاع ❊ وتكدرت بمفارقتها لوطنها ❊ وبسكونها لغير أحبتها ❊ صدق عليها إذ ذاك اسم النفس ❊ وتسمى بحسب مراتبها الدنية ❊ أمارة ولوامة وغير ذلك ❊ كما تسمى أيضا بحسب مراتبها العلية ❊ وهي كثيرة غاية ❊

وقد قيل : إن لها من النقائص ما لله من الكمالات ❊

فإن شئت يا أخي أن ترجع إلى وطنك الذي جئت منه ❊ وهو عالم الصفاء ❊ وتترك عنك وطن غيرك وهو عالم الكدر فافعل ❊ فإن قلت : «كيف أفعل» ❊

قلت : انسلخ من عالم الكدر كما تنسلخ الشاة من جلدها ❊ وانسه ولا تذكره قط ❊ فإن نورانيتك إن شاء الله تتقوى ❊ أي

ترد عليك المعاني بجيوشها العظيمة القوية الشديدة ❊ ثم تحملك سريعا إلى وطنك ❊ ولعن الله من كذب عليك ❊ لكن جرب إذ في التجريب علم الحقائق ❊

ولا شك أن الروح لا يعلم حقيقتها إلا الله ❊ إذ لها من الأسرار ما لا يعد ولا يحصى ❊ كما قال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم حين سأله اليهود لعنهم الله عن حقيقتها فلم يعرفها ❊ بل عجز عنها أي عن حقيقتها ❊

وقد قالوا حين أرادوا أن يسألوه : «إن أجابنا فليس بنبي وإلا فهو نبي» ❁ فإذا به لم يجاوبهم حتى علمه الله ما يقول لهم صلى الله عليه وآله وسلم ❁

ولا شك أن العجز وصف العبد ❁ والعبودية هي الشرف ❁ فلذلك مدح الله نبيه بها إذ قال في كتابه ﴿سُبحَانَ الَّذِي أَسرَى بِعَبدِهِ﴾ ❁ ولم يقل بنبيه ❁ ولا برسوله ❁ ولا بغيرهما ❁ إنما اختار له اسم

العبد لأن الشرف هو العبودية ❁ وقد قيل : «إن للنفس سرا ما ظهر ذلك السر على أحد من خلقه إلا على فرعون ❁ فقال : أَنَا رَبُّكُمُ الأَعلَى» ❁ والسلام ❁

الرسالة الثالثة والخمسون

في انشغال الناس بالحس عن المعاني

53 - ومنها : فالحس قد استولى على الناس فأخذ قلوبهم وجوارحهم ❁ وتركهم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ مع وجود علمائهم وصلحائهم

وأمرائهم ❋ وقد قل من سلم منهم غاية ❋
وكثيرهم لا يخوضون إلا فيه ❋ ولا
يشتغلون إلا به ❋ ولا يعرفون إلا هو ❋
والمعاني كأن الله تعالى لم يجعلها لهم ❋ مع
أنه سبحانه وتعالى قد جعل لكل واحد
منهم منها مثل ما جعل للبحر من الأمواج
❋ واللهِ لو علموها ما اشتغلوا بالمحسوسات
عنها ❋ ولو علموها لوجدوا أنفسهم أنهم فيها
بحور لا ساحل لها ❋ واللهُ على ما نقول
وكيل ❋

فإن قلت : «كيف جرى للناس حتى أخذت قلوبهم وجوارحهم مع وجود علمائهم وصلحاتهم وأمرائهم» ❁ قلت : وقع بالجميع ما وقع إلا النادر منهم ❁ والنادر لا حكم له ❁

سمعت أستاذي رضي الله عنه يقول : «الدنيا قد دخلت مع العلماء في علمهم ❁ ومع الفقراء في فقرهم ❁ فلبستهم حقيقة

ما بأيديهم» ❊ والأمر كما قال رضي الله عنه ❊ والسلام ❊

الرسالة الرابعة والخمسون

في قوله : من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين

54 - ومنها : فإن شئت أن تقضى حوائجك بغير سبب فيها فأعرض عنها وأقبل على ربك ❊ فإنها تقضى إن شاء الله ❊ ولو تركتها بأسرها وأقبلت على ربك فيها لأتاك ما تريد من خير الدنيا ومن خير الآخرة ❊ ولكانت

لك الطريق في السماء كما هي لك في الأرض وأكثر ❁ إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه عن ربه عز وجل : «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» ❁

واسمع أيها الفقير ما قلت لبعض الإخوان رضي الله عنهم : «ما من حاجة افتقرتُ إليها فأعرضت عنها وأقبلت على ربي إلا وهي حاضرة بين يدي كبيرة كانت أو صغيرة ❁ بقدرة السميع العليم» ❁

ونرى أن حوائج العامة تقضى بالتسبب فيها ❋ وحوائج الخاصة تقضى بالإعراض عنها والإقبال على الله ❋ والسلام ❋

الرسالة الخامسة والخمسون

في أن تعظيم أمر الله يكون على قدر المعرفة به

55 - ومنها : فمن فني أو نقول غرق ❋ في شهود عظمة ذات الله ❋ فلا يمكن إلا أن يكون معظما عند كافة عباد الله ❋ ومن كذب فعليه لعنة الله ❋ والذي لم يفرق في شهود عظمة الله فلا يعظمونه ❋ إنما

يعظمون من عظم الله ❋ أو نقول : أمر الله ❋ إذ لا شك أن التهاون بالأمر من قلة المعرفة بالأمر ❋ ولو عظم أمر الله لعظمه الله ❋ ولو عظمه الله لعظمته مخلوقات الله ❋ والسلام ❋

الرسالة السادسة والخمسون

في الحث على الفرار من الحس إلى المعنى

56 - ومنها : فاسمع أيها الفقير أن البعض من الناس قد صحبنا نحو الثمانية أعوام ❋ وكان شأنه معنا تارة تتقوى محبته في جانبنا

❋ وتارة تضعف ❋ وهكذا في المدة كلها ❋

فبينما نحن ذات يوم إذ ذكّرناه مذاكرة

قلبية قد دخلت إلى صميم قلبه ❋ والله

ورسوله أعلم بغيبه ❋ فزهد بسبب ذلك في

شيء من الدنيا ❋ ومال إلينا ميلا كبيرا ❋

فإذا به قد وردت عليه المعاني بجيوشها ❋

ولم تكن له خبرة بها قط ❋ فترادفت عليه

حتى ظن أن ليس على وجه الأرض من

هو أعلم منه في الوقت ❋ فبادر بالمجيء إلينا

ليعلمنا مما علم ❋ إذ كان في جهة ونحن في

أخرى ❁ فلما كلمنا وأجبناه ❁ ورد علينا كلامنا وضرب به وجهنا بعنف وغضب ❁ وذلك بمحضر جماعة من الإخوان رضي الله عنهم ❁ ولم تكن عادته معنا قبل ذلك ❁ فعذرناه فلم يعذرنا هو ❁ بل جار علينا بعلمه جورا عظيما ❁ ونحن بين يديه كالسارق بين يدي أهل السريقة ❁ وكنا لا نقبل قوله إلا أن بعضه وجدناه حقا لا يرد ❁ فلما امتنعنا من موافقته تركنا إذ ذاك ومشى إلى بعض الإخوان ❁ كانت لهم نية

صالحة فينا ومحبة صادقة في جانبنا ❊ إلا أنهم قد كانوا ضعفاء الحال لا قوة لهم إلا قوة العلم ❊ فزحزحهم عن نيتهم ومحبتهم وصدقهم ❊ وكاد أن يسلبهم إلى طرق بعض النية الصالحة والمحبة الصادقة ❊ وكاد -لطف الله به- يردنا من حالة التجريد إلى حالة الأسباب ❊

وكنا نقول له : «نحن إن رجعنا إلى ما تريد منا فنحس في رجوعنا ❊ لأن كلا منا قد

عرف تلك الجهة وهذه ❁ وأما أنت فلا
يليق بك إلا الفرار من الحس لئلا يأخذك
كما أخذ كثيرا من أقرانك ❁ وممن كان
حاله أقوى من حالك ❁ ولا بد ولا بد إن
شئت سلامة نفسك فاسمع ما أقول لك
وكن عليه ❁ ولا تكن على غيره ❁ والله
يأخذ بيدك ❁ فالحس يا أخي أنت قريب
العهد به ❁ إذ لا تعرف إلا هو كعامة
الناس أو أكثر منهم معرفة له ❁ ولا تعرف
المعاني ❁ ولا الطريق التي توصل إليها ❁

والآن إن أردتها ففرّ من الحس كما فررنا ❋ وتنشط منه كما تنشطنا ❋ وعاديه كما معه تعادينا ❋ وسر كما سرنا ❋ وإن أردته يا أخي فالمعاني لا تطمع فيها ❋ ولا تعلق قلبك بها ❋ إذ كل ما تكبر فيه تصغر فيها ❋ وكل ما تصغر فيه تكبر فيها ❋ أو كل ما تضعف فيه تتقوى ❋ وكل ما تتقوى فيها تضعف فيه» ❋

فكان لا يقبل قولنا حتى سلبه الحس الذي كنا نحذره منه من المعاني التي وردت عليه

بجيوشها ❋ ولم يترك له منها حتى رائحتها ❋ والله على ما نقول وكيل ❋ والسلام ❋

الرسالة السابعة والخمسون
في الحث على المداومة على العمل وإن قل

57 - ومنها : فالذكر الذي قلت لي إن زدت زادك الله قربا إليه ❋ لكن احذر أن تعمل حتى تعيا وتملّ ❋ إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم : «اكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يملّ حتى تملّوا» ❋

واخش الدسائس من جوع ومن شبع
فرب مخمصة شر من التخم

كما قال ولي الله تعالى سيدي البوصيري في بردته رضي الله عنه ❁

والباطن وهو القلب ❁ إن تجرد حقيقة تجرد الظاهر ❁ وإلا فلا ❁ ولا تكمل ولاية أحدنا إلا إن كان ما بباطننا بظاهرنا ❁ وما بظاهرنا بباطننا ❁ ولا شك أن المتجردين

الظاهر والباطن من أهل الله ❊ أو نقول : من أهل الطريقة رضي الله عنهم ❊ فكرتهم أقوى من فكرة المتسببين ❊ ومقامهم أعلى من مقامهم ❊ ولعن الله من كذب عليهم ❊ إذ هي ناشئة عن فراغ الباطن ❊ وعن فراغ الظاهر ❊ ولا شك أيضا أن الظاهر على دين الباطن ❊ ومنه يربح أو يخسر إذ هو الأصل ❊ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد ❊ وإذا فسدت فسد سائر

الجسد ❊ ألا وهي القلب» ❊ وفي الحكم العطائية : «ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر» ❊

فهذا ما حملنا على التجريد ❊ وهو الذي حمل غيرنا عليه ❊ ولا شك أنه مقام كبير ❊ وقد سماه ولي الله تعالى سيدي ابن عطاء الله رضي الله عنه «الهمة العالية» ❊ إذ قال في حكمه : «إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية ❊

وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية» ❋

ونحبك أن تنسى نفسك والتجريد والأسباب وكل شيء بربك ❋ والله يأخذ بيدك ❋ ﴿وإذا عزمت فتوكل على الله﴾ ❋ إذ بتجريدك من شواغلك تتقوى نورانيتك ❋ وبتقويتها يتقوى يقينك ❋ وبتقويته تعلو همتك ❋ وبعلو همتك تصل إلى ربك ❋

ووصولك إلى ربك وصولك إلى العلم به ❋ والسلام ❋

الرسالة الثامنة والخمسون

من أسر سريرة ألبسه الله رداءها

58 - ومنها : فالحالة التي ترى عليها ظاهر الفقير ❋ فهي التي عليها باطنه لا محالة ❋ كما في الحكم العطائية : «ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر» ❋ ونراك أيها الفقير تارة تميل إلى أهل الظاهر ❋ وتارة تميل إلى أهل الباطن ❋ وتارة تقبل

على الجهتين ❁ وتارة تعرض عن الجهتين ❁ وتارة تنشط ❁ وتارة تكسل وتملّ ❁ وتارة تقبل الحق ❁ وتارة لا تقبله ❁ وهكذا ❁

ونرى كلامك كلام الصوفية رضي الله عنهم ❁ والأهواء تغلب بك هكذا دائما ❁ فساءني حالك وأردت أن أنصحك ❁ وغاية نصحي لك أن تتوب لربك مما أنت عليه من الأهواء التي تلعب بك ❁ ولا تقتدي إلا بمن يدعوك إلى ربك من غير تخليط ❁

وأما تعلقك بكل أحد أحد فليس لك فيه خير ❁ إذ قال الله تعالى ﴿وَإِن تُطِع أَكثَرَ مَن فِي الأَرضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ ❁ ولاشك أن سلامتك وسلامتنا وسلامة كل أحد في الاقتداء بأهل السنة المحمدية ❁ وهم الجماعة التي ورد فيهم حديثه صلى الله عليه وآله وسلم: «يد الله مع الجماعة» ❁ إذ لاشك أنها على عهد الله ❁ ولو كانت قليلة فهي كثيرة ❁

وتكون الجماعة في رجل واحد إذا كان راسخ القدم في سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظاهرا وباطنا ❋ ولا تكون الجماعة الكثيرة جماعة إذا لم تكن على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ❋ ويكون الرجل الواحد أيضا أمة إذا كان قلبه على قلب نبي الله تعالى سيدنا ابراهيم عليه السلام ❋ إذ قال الله تعالى في كتابه ﴿إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّة قَانِتًا وَلَمْ يَكُ مِنَ المُشرِكِينَ﴾ ❋ والسلام ❋

الرسالة التاسعة والخمسون

في الإقبال على الله ودفع الخواطر النفسانية

59 - ومنها : فالخواطر النفسانية والشيطانية إن تسلطت عليك وأردت نفيها ❁ أو نقول دفعها عنك ❁ فأعرض عنها ❁ وأقبل على ربك ❁ واسلب له الإرادة في نفسك ❁ وكن هكذا دائما ❁ فإنها تذهب عنك ❁ ولا تأتيك أبدا ❁ والسلام ❁

الرسالة الستون

في تعظيم الأشياخ والإخوان وعباد الله كلهم

60 - ومنها : فمن شاء أن تصدق عليه الآية الكريمة التي هي قوله تعالى ﴿وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ كما صدقت على غيره ❁ فليقنع من الدنيا بأدنى شيء منها ❁ وليفطم نفسه عنها دائما ❁ اقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ❁ وينظر أشياخه وإخوانه ❁ وعباد ربه كلهم بعين التعظيم ❁ فإن كان كما قلنا وردت عليه واردات إلٰهية ❁ وهي

علوم وهبية تجري بجري الماء بسحاب رحمة ❋ ورعد رحمة ❋ وبرق رحمة ❋ وبرد رحمة ❋ وعاد مطر الرحمة ينزل بقلبه كل ساعة وحين ❋ وذلك علم جديد ❋ وعمل جديد ❋ وهذا ينسي هذا بالحلاوة واللذة ❋ والسلام ❋

الرسالة الحادية والستون
في الجمع بين الباطن والظاهر والشريعة والحقيقة

٦١ - ومنها : فاللحاحة إذا كانت لك في الباطن أيها الفقير ❊ لم تكن لك في الظاهر ❊ وإذا كانت لك في الظاهر لم تكن لك في الباطن ❊ ولا يتسع الباطن إلا بضيق الظاهر ❊ كما لا يتسع الظاهر إلا بضيق الباطن ❊ ولا ترد عليك العلوم الوهبية مع اشتغالك بالعلوم النقلية ❊ أو لا يحضرك الباطن ما دمت مشتغلا بالظاهر ❊ إذ القوة

لا تكون في الجهتين ❁ فمهما كانت في الظاهر لم تكن في الباطن ❁ ومهما كانت في الباطن لم تكن في الظاهر ❁ وإذا كانت فحتما يكون الميل إلى جهة دون أخرى ❁ إذ قال تعالى ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ﴾ ❁

فلا نقول ببطلان أحدهما ❁ إنما نقول الجمع بين الجذب والسلوك ❁ أو بين الحقيقة والشريعة ❁ أو بين السكر والصحو

❁ أو بين الجمع والفرق ❁ لا يكون إلا للأقوياء من الأولياء رضي الله عنهم ❁ وأما غيرهم فلا يكون إلا على السلوك دون الجذب ❁ أو على الجذب بلا سلوك ❁ أو على الشريعة بلا حقيقة ❁ أو على الحقيقة بلا شريعة ❁ أو على الفرق بلا جمع ❁ أو على الجمع بلا فرق ❁ أو على السكر بلا صحو ❁ أو على الصحو بلا سكر ❁ أو على غير السلوك والجذب وهو موجود إلا أنه من جملة الحمير ❁ أو قريبا منهم ❁ والسلام ❁

الرسالة الثانية والستون

في أن المرض الكبير هو حب الدنيا

62 - ومنها : فالمرض الكبير أيها الفقير هو حب الدنيا الذي يصيب القلوب ❋ لا الحب الذي يصيب الأجساد ❋ إذ الدنيا هي سببنا في بعدنا عن ربنا ❋ ولولا حبها الذي سكن قلوبنا لكنا دائما في حضرة ربنا ❋ ولا حجبنا عنه إلا حبها الذي سكن قلوبنا ❋ والسلام ❋

الرسالة الثالثة والستون

في استحضار النية الصالحة عند كل عمل

63 - ومنها : فالنية هي الإكسير لا محالة ❊ إن حضرت لأحد حضر له الخير ❊ وإن غابت عنه غاب عنه الخير ❊ إذ لا أعظم من نبينا عليه السلام في سائر المخلوقات ❊ ومع جلالة قدره وعظيم شأنه ❊

من حضرت له النية الصالحة ربح الربح الكبير ❊ ومن لا فلا ❊ والسلام ❊

الرسالة الرابعة والستون

في التحذير من الدنيا وأهلها

64 - ومنها : فمن أقبلت عليه الدنيا أيها الفقير ولم يعرض عنها كما أعرض عنها نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ❁ فهو من المغرورين ❁ أو نقول من الهالكين ❁ وكيف لا وهو قد أعطى للسنة بظهره والبدعة بوجهه ❁ والعياذ بالله ❁ فلو رآها صلى الله عليه وآله وسلم لا تضرنا لما أعرض عنها حينما أقبلت عليه ❁ ومعاذ الله أن يرضى لنا أن نبدل الباقي بالفاني ❁

فلا تغتروا بغير رأيه صلى الله عليه وآله وسلم ❁ واعتبروا بالرجل الذي أخذته من بين يديه ❁ وحكايته في كتاب الله شهيرة ❁ إذ قال تعالى فيه ﴿وَمِنهُم مَّن عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ❁

فاقنعوا منها وافطموا أنفسكم دائما عنها تسعدوا ❁ ولا تأخذوا منها إلا ما لا بد منه ❁ ولا تتخيروا في أكلكم ❁ ولا في لباسكم ❁

ولا في مسكنكم ❁ ولا في مركبكم ❁ ولا في أموركم من حيث هي ❁ واقبلوا ما وجدتم منها وارضوا به واقنعوا به ❁ إذ القناعة رأس الغنى ❁ وهي الحياة الطيبة عند بعض المفسرين ❁ ومن أخذ فوق ما يكفيه أعمى الله عين قلبه ❁

ومن تمام نعمة الله على عبده أن يرزقه ما يكفيه ويمنعه ما يطغيه ❁ إذ قال تعالى : ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي

الأَرضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ج إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرُ بَصِيرٌ ❁

و«خير الذكر الخفي ❁ وخير الرزق ما يكفي» كما ورد ❁ وقد ورد أيضا أن الدنيا كنهر طالوت ❁ لا ينجو منها شارب إلا من اغترف غرفة بيده ❁ ويا عجبا ممن أسر في بر الإسلام وهو يحزن على من أسر في بر الكفر ❁ وهو لم يشعر بأسره في بره ❁ ولا بحزنه على غيره وبكائه عليه ❁ مع أن الحزن

عليه يحق ❋ والبكاء كذلك ❋ وما أقبح حال من بيد العدو وهو لم يشعر ❋ وأقبح منه حالا إذا شعر ولم يفدِ نفسه ❋ وأقبح وأقبح إن عاش أعواما عديدة ولم يفد نفسه بل بقي بيد العدو إلى أن مات بيده ❋ فلا ينبغي لعاقل أن يحزن على الأسارى الذين هم عند النصارى حتى لا يكون هو أسيرا عند الدنيا وعند النفس وعند الشيطان لعنه الله وعند الهوى ❋ أو نقول وعند الوهم ❋

إني بليت بأربع يرمونني

بالنبل عن قوس له توتير

إبليس والدنيا ونفسي والهوى
يا رب أنت على الخلاص قدير

فإذا فديت نفسك أيها الفقير ❁ من يد أعدائك الذين هم معك دائما ❁ فحينئذ إن حزنت على من عند النصارى من الأسارى ❁ واهتممت واغتممت أيضا من أجلهم ❁ وبكيت عليهم حتى تحمر عيناك ❁ أو يطلعها البياض ❁ فلا بأس ❁ ولك الأجر العظيم ❁ والثواب الجسيم ❁ والسلام ❁

الرسالة الخامسة والستون

في شروط التجريد وآدابه

65 - ومنها : فلانحب من يتجرد إلا بعد أن يتوب من كل ذنب ثم لا يرجع إليه ❁ و«التائب من الذنب كمن لا ذنب له» ❁ ويفر أيضا من كل ما لا يعنيه دائما سرمدا ❁ فمن كان هكذا فلا بأس أن يتجرد من أسبابه وثيابه ❁ إذ هو يتحلى بالمعاني حين يتخلى عما ذكرنا ❁ ويؤيس نفسه من هواها لا محالة ❁ كما قلنا مرارا : مخالفة الهوى تنتج العلم الوهبي حقا ❁ والعلم الوهبي ينتج

اليقين الكبير ❋ واليقين الكبير ينفي الشكوك والأوهام بالكلية ❋ ويزج صاحبه بالحضرة الربانية ❋

فإذا تحلى بالمعاني التي ترد عليه من حضرة ربه ❋ فلا نخاف من رجوعه إلى ما ترك ❋ وذلك كشجرة أريد تلقيحها بأخرى ❋ فلا بد لصاحبها أن يقطع أغصانها إلا ما شاء الله منها ❋ ليرجع الماء إليها ❋ وحينئذ تعيش ❋ أو نقول : تنتج وتشجر ❋

والتجريد ينحصر في أربع مسائل : في الفرار من الدنيا ❋ والفرار من الناس ❋ وإهمال الجسد ❋ وإهمال البطن ❋ فلا يعبأ بها المتجرد كالناس بل يهملها ❋ ولا شك أن الصدق يحمل صاحبه على أن يظهر للناس ما يكرهونه منه ❋ كأكل الفجل بالسوق ❋ أو اللفت ❋ أو البقل ❋ أو كباب ❋ أو مالح ومليح ❋ أو السفنج ❋ أو الشواء ❋ أو شق عينه ❋ أو خزو ❋

ويحب الصادق أن يكون على هذا بمحضر أهل المروءة وهم ينظرون إليه ❁ ويتأسفون عليه ❁ ولا يأكله في غيبة أهل المروءة ❁ أو مع السقاط مثله ❁ لئلا يهون عليه ذاك ❁ إذ لا يحب أن يهون عليه ❁ إنما يحب أن يكون كالكلب أو أقل من الكلب ❁

ويحب أن يكشف رأسه أمام من ذكرنا وغيره كأقاربه وعشيرته وأحبته ❁ ويسأل الناس كالمضطر الكبير قواريطهم ❁ أو ما

شـاء الله ❊ ويكبر اللقمة حين يأكل ❊
ويفتح فاه كثيرا لـها ❊ ويلبس القشابة
المقلوبة ❊ وحين يجلس يـمد رجليه
ويفرقهما ولا يـجمعهما ❊ ويكشف عن
قرب دبره لا عن دبره ❊ بل يترك عورته
مستورة حفظا للشريعة المحمدية ❊ وليعلم
من رآه أنه بعقله ❊ ويسكت عمن يتسلط
عليه مع وجود من يكره أن يكون حاضرا
❊ ولا يقابله بشيء حتى يشفي غرضه في
ذمه وإذايته ❊ ويلبس الشاشية المرشوقة

البالية النقية ❋ إذ لا شيء أحب إلى أهل الصدق من الأسباب التي تسقطهم عن أعين الناس ❋

فهذا دأبهم ❋ وهذا حالهم ❋ ولا شك أن الأحوال التي ذكرنا هي نسك عندنا وسيئات عند غيرنا ❋ والسلام ❋

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وصَحبِهِ وَسَلِّمْ تَسلِيما كَثِيرا ❋ سُبحَانَ

رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ❊ وَسَلَامٌ على

المُرسَلِينَ ❊ وَالحَمدُ لِلّٰهِ رَبِّ العَالَمِين ❊